من أخبار المسافرين (١٨)

مسافر من تركيا

هذا مسافر في طلب العلم، ومهاجرٌ لتحصيل المعرفة، ومغترب لكسب الشرف، أقبل كغيره من آلاف المتشوقين للعلم، الذين قدموا إلى هذه البلاد إلى مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبلد العلم والعلماء، جاء ليتعلم العربية، وليدرس العلوم الإسلامية، هذا المسافر هو أحد إخواننا من تركيا اسمه «محمد آيدين» من أسرة مباركة والده يحفظ القرآن مع أنه لا يتكلم العربية. جاء محمد آيدين إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة وتخرَّج بها في كلية الشريعة ثم حصل فيها على الماجستير، والدكتوراه. وكانت رسالته الدكتوراة في تحقيق أحد كتب التراث العربية في موضوع أسباب النزول القرآني وقد نال الشهادة بامتياز مع التوصية بطبع الرسالة.

والأخ محمد من أصدقائي الطيبين وكان أثناء وجوده بمكة المكرمة مجاوراً لنا في السكن، وهو معروف بالاستقامة والصلاح كما نحسبه والله حسيبه، وقد أصبح الآن أستاذاً في إحدى الجامعات التركية يدرس العلوم الإسلامية وقد حضرت مناقشة الدكتوراة، وسافر والده من تركيا إلى مكة ليحضرمناقشة ولده وليشرف بنفسه على قطف الثمرة، التي طالما تعَهّدها ورعاها. فقال ابنه للجنة المناقشة أثناءتقديم الرسالة: اسمحوا لي أن أقدم شكري وتقديري لوالدي باللغة التركية لأنه لا يجيد العربية مع أنه يحفظ القرآن كاملاً!!! هنا انهمرت دموع والده مدراراً وكان موقفاً مؤثراً حقاً واصطرعت في ذهني مشاعر عدّة فكانت هذه القصيدة على لسان والده. وقد كان لهذه القصيدة أصداء بعيدة وعارضها عدد من الشعراء ونشرت

في جريدة المدينة ملحق الخميس.

هتف الفؤاد إلى الأحبة هيا ... فأتيت أطوى الأرض من تركيا
وقَدمْتُ والأشواق تَعْمُرُ مهجتي ... لأرى حبيباً راضياً مرضيا
لرضاك يا ولدي المفدَّى ها أنا ... أطوي المسافات البعيدة طيّا
ولَكَمْ سُرِرنا يا بني وإننا ... لَنَخرُّ من فرط السرور بكيّا
ما خابت الآمال فيك فها أنا ... أجني من الثمر البديع طريّا
مهلاً بنيَّ فإن تكن بيَ عُجمةٌ ... فالقلب عاش مع الهدى عربيا
عَلّمْتك القرآن في زمن الصبا ... وبذلت جهدي كي أراك تقيّا
ولكم سعدتُ بأن رأيتك عالماً ... ومعلِّماً ومجاهداً ووفيّا
أبنيَّ إنك من سلالة أُمَّةٍ ... حازت مقاماً مشرقاً وعليّا
أضحى بها الإسلام بعد خموده ... متألقاً في العالمين فتيّا
مدَّت على الدنيا بديع رواقها ... والناس تحت ظلالها تتفيّا
كم أنجب التاريخ من أمرائها ... شهماً شديد البأس عثمانيّا
ما كان أكبرُ همِّه ومراده ... أن يحفظ الأموالَ والكرسيّا
بل يخدمُ الإسلام ينصرُ أهله ... ليعيش مرهوب المقام قويّا
وولاؤه للمؤمنين فلم يكن ... يهوى يهودياً ونصرانيّا
يا عزَّة الإسلام كم تبكي لها ... عيني وتجتمع الهموم عليّا
فمتى أرى الإسلام صار مهيمناً ... ومتى تعود لمجدها تركيّا
عبدالحميد متى أرى أحفاده ... صانوا وأعْلوا منهجاً قدسيّا
يا من رضيتَ بنهج خير معلِّمٍ ... ورضيت بالله العظيم وليّا
سرْ يا بنيَّ على طريق محمَّدٍ ... لنفوز بالأجر العظيم سويّا

من أخبار المسافرين (١٩) الموصلي يسافر إلى وزير مصر

كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً لطيف الشعر مليح السبك، وهو من أهل الموصل، ولما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رُزِّيك وزير مصر، وعَجَزَتْ قُدْرتُه عن استصحاب زوجته، فكتب إلى الشريف ضياء الدين بن عبيدالله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات:

وذاتِ شجوٍ أسال البين عبرتها ... كانت تؤمل بالتفنيد إمساكي
لجت فلما رأتني لا أُصيخُ لها ... بكت فأقرح قلبي جفنها الباكي
قالت وقد رأت الأجمال محدجة ... والبيت قد جمع المشكوَّ والشاكي
من لي إذا غبت في ذا المحْل قلت لها:
الله وابـــن عبيـــدالله مـــــولاك
لا تجـزعـــي بانحباس الغيث عنك فقد
سـألـــت نـــوء الـثريَّـا جـود مغـــناك

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها، ثم توجه إلى مصر ومدح الصالح بن رُزِّيك، ثم تقلَّبت به الأحوال وأقام بمدينة حمص وتوفي سنة ٥٨١هـ رحمه الله تعالى ومات غريباً عن وطنه وأهله ولسانُ حاله يقول:

قـد قضـى الله أن أمـوت غـريبـاً ... فـي بـلاد أسـاق كـرهـاً إليهـا
فـــي فـــؤادي مخبـــآتُ معـــانٍ ... نـــزلـــت آيـــة الحجـــاب عليهـــا

ـ الواجب أن يقول: الله ثم ابن عبيدالله ولكن الضرورة الشعرية ألجأته إلى ذلك غفر الله لنا وله ـ.

المسافر والليل

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١ـ٧٢]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس: ٦٧]

الليل حبيب العاشقين، ومأوى المحبين، وخلوة الطائعين، وأنيس الراكعين والساجدين، وميدان المتهجدين، الليل إعلان الرهبة، وعنوان السكون، ومظنة الخشوع، تكثر فيه الآهات، تحلو فيه العبرات. الوصل لا يلذ إلاَّ في الليل، والهجر لا يلذع إلاَّ في الليل، والسرور لا يشع إلاَّ في الليل، والألم لا يضني إلاَّ في الليل. الليل يفر إليه العاشق بمن يعشق، ويخلو فيه المحب بمن يحب. يرخي الليل سدوله فيضم تحت ردائه متناقضات عجيبة، فمن حزين يتأوه، ومهموم يتألم، ومحبٌّ مهجور، يشكو طوله، ومحبٌّ واصل يشكو قصره:

لا أسأل الله تغييراً لما فعلتْ نامت وقد أسهرت عينيَّ عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

وعابد يتهجد يناجي ربه، وفاجرٍ يتستر بجرمه، وغريب يبكي غربته، ورفيق يأنس برفقته، وشاعرٍ يحبِّر قصائده، وعالمٍ يقلِّب دفاتره، ومفكِّرٍ يسجل خواطره. الليل بكى أناسٌ من طوله، وتبرموا بحلوله، وتخيل

بعضهم أن نجومه شدت بالحبال، وربطت في الجبال، يقول امرؤ القيس:

فيا لك من ليلٍ كأن نجومه بكل مُغَار الفتْلِ شُدَّت بيذبُلِ
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

ويقول الآخر مبيناً أن سبب طول الليل هو هجران الحبيب وفقدان الأنيس، وأن قصره هو الاجتماع به فيقول:

لا أظْلمُ الليل ولا أدّعي أن نجوم الليل ليست تغورْ
ليلي كما شاءتْ فإن لم تَجُدْ طال وإن جادتْ فليلي قصيرْ

ولكن المسلم له مع الليل شأنٌ عجيب، والمؤمن له من الليل موقف غريب، فهو يترقب قدومه وينتظر حلوله ليأنس فيه بلذة المناجاة، وحلاوة المناداة.

المؤمن يحب الليل؛ لأنه يقترب فيه من مولاه، فيخطب ودَّه ورضاه، يصفُّ فيه أقدامه، ويشكو فيه آلامه، فهو ينثر في سكونه دموعه، ويعلن توبته ورجوعه، إذا نام الناس قام، وإذا غفلوا أفاق، في الليل تزكو النفوس، وترق القلوب، وتجود العيون، وتخشع الأبدان، ويحلو القرآن، وينزل الرحمن، فهو حبيب المؤمن وأنيس الطائع، وسلوة الخاشع. وقد جعل الله تعالى الليل ميداناً لتنافس الطائعين، وبرهاناً لمحبة المحبين، ودليلاً على صدق الموحدين.

فإنَّ تعلّم الإخلاص للمحبوب لا يكون إلاَّ في الليل.

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا سريرة حبٍّ يوم تبدو السرائرُ

وإن الذين عرفوا لِلَّيل أهميته، وللتهجد قيمته، فقاموا حتى تورمت

أقدامهم، وشحبت ألوانهم، هم في الوقت نفسه الذين عمروا النهار بالجهاد والبذل والتضحية هم أنفسهم الذين دَوَّخوا الباطل وزلزلوا الظلم، ودمَّروا الوثنية.

مضوا يحفرون بدمع القيام وبَذْل الدماء طريق الإياب

* * *

قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهمُ باتوا هنالك سُجَّداً وقياماً
خمص البطون من التعفّف ضُمّراً لا يعرفون سوى الحلال طعاما

ولقد قام ﷺ حتى تورمت قدماه، واستمع إلى هذا الحديث الرهيب الذي ترويه عائشة رضي الله عنها وأرضاها تقول: قام ليلة من الليالي فقال: «**يا عائشة ذريني أتعبد لربي**» قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يُؤذن بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]» [رواه ابن حبان وصححه الألباني].

يقول شوقي:

مُحيي الليالي صلاة لا يقطّعها إلاَّ بدمع من الإشفاق منسجم
مسبحاً لك جنح الليل، محتملاً ضُراً من السُّهد أو ضُراً من الورَم
رضيةً نفسه لا تشتكي سأماً وما مع الحبِّ إن أخلصتَ من سأمِ

وقلت:

لمّا أتتكَ «قم الليل» استجبت لها العين تغفو وأما القلب لم ينمِ
تُمسي تناجي الذي أَوْلاكَ نعمته حتىٰ تَغَلْغَلَتِ الأورامُ في القَدَمِ
أَزيزُ صدركَ في جوف الظلام سرىٰ ودمعُ عينيك مثل الهاطل العَمِمِ
الليل تسهره بالوحي تعمره وشيّبتك بهودٍ آية «استقمِ»

والله تعالى الذي خلق الليل والنهار، أعطى الليل ما لم يعط النهار وميَّزه بميزات، وخصَّة بمناسبات، لو لم يكن منها إلاَّ أنه تعالى شرَّفه بأن جعله زمناً لنزوله تعالى إلى السماء الدنيا وكفى بها منقبة، وحسبك بها محمدة.

يمرّ الصبا دوماً بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهبّ هبوبُها
قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كلُّ نفسٍ حيث حلَّ حبيبُها

وحينما أُسري بمحمد ﷺ في جوف الليل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١]. حينما كان ذلك فهو إعلان بأن الليل هو زمن اتصال الفناء بالبقاء، والضعف بالقوة، والمخلوق بالخالق علم بذلك أن الليل زمن العطاء، والنماء، والوفاء، والرجاء، والدعاء ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨ـ٧٩]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦]

والليل كانت فيه بداية الوحي إلى موسى عليه السلام، وبداية تكليم الله

تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ [طه: ٩-١٤]

يا جار إن الركب قد حاروا فاذهبْ تحسّسْ لمن النارُ
تبدو وتخبو إن خبتْ وقفوا وإن أضاءت لَهُمُ ساروا

والليل جعله الله زمناً لنجاة أنبيائه من أعدائهم حينما أراد إهلاكهم فقال لموسى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤ ﴾ [الدخان: ٢٢-٢٤]

وقال للوط عليه السلام حينما أراد الله تعالى إهلاك قومه ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١ ﴾

[هود: ٨١]

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥ ﴾

[الحجر: ٦١-٦٥]

والليل فيه أنزل القرآن ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [القدر: ١]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]

والليل جعله الله تعالى زمناً لنجاة أوليائه حينما حكم على أقوامهم بالدمار ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟

حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾. والحديث مع الليل طويل وطويل، وجميل وجميل، ولكن يكفي من القلادة ماأحاط بالعنق، وقبل أن نودع الليل بسكونه الرهيب، وظلامه الحالك، وهيبته العظيمة دَعْني أخي المسافر أنتهز هذه الفرصة فأذكر نفسي وإياك ببعض الآيات والأحاديث العظيمة التي تدل على شرف الليل وأهميته وعظمة الأجر لمن عمره بذكر الله، وصلى فيه طاعة لمولاه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

[الزمر: ٩]

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

[الذاريات: ١٧]

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦]

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

أما الأحاديث فهي العجب العجاب ومنها:

* **«ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلايزال كذلك حتى يضيء الفجر»** [رواه مسلم]

* **«أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن**

تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» [رواه الترمذي]

وإليك هذا الحديث الرائع، الماتع، العجيب، الغريب، الرهيب:

* **«ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم:**

الذي إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يُقْتل وإما أن ينصرَه الله ويكفيه، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه.

والذي له امرأة حسنةٌ وفراشٌ ليّنٌ حسنٌ، فيقوم من الليل، فيقول الله تعالى: يَذَرُ شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد.

والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركْبٌ فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السَّحر في ضرَّاءَ وسرّاء» [رواه الطبراني]

وقال ﷺ:

* **«من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كُتبا لَيْلَتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»** [صحيح الجامع]

ومن ميزات الليل أن السفر فيه يحلو، والأرض فيه تطوى كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«وعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل»** [الصحيحة: ٦٨٢].

كان ابن سيرين ـ رحمه الله ـ يتحدث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل أخذ في البكاء والعويل:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... ليَ الليل هزّتني إليك المضاجعُ
أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهمّ بالليل جامع

كانت عابدة لا تنام من الليل إلاّ يسيراً فعوتبت في ذلك: فقالت كفى

بطول الرقدة في القبور رقاداً.

أيها العذال لا تعذلوا إنما العذل لمن يقبلُ
وأرى ليلي لا ينقضي طال ليلي والهوى أطولُ

قالت أم محمد بن المنكدر: يا بنيّ أشتهي أن أراك نائماً؟ فقال: يا أماه إن الليل لَيردُ عليَّ فيهولني فينقضي عني وما قضيتُ منه مأربي.

وصاحب رجلٌ رجلاً شهرين فما رآه نائماً، فقال: مالك لا تنام؟ فقال: إن عجائب القرآن أطرْن نومي، ما أخرج من أعجوبة، إلاَّ وقعتُ في أخرى.

قال سفيان: إن لله ريحاً تسمى الصباحية، مخزونة تحت العرش، تهبّ عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار. وقد كان سفيان هذا إذا أراد أن ينام يتقلب كما تتقلب الحبة في المقلى، فإذا ما غفا قليلاً قام يصيح مذعوراً:

النار النار شغلني ذكر النار عن النوم.

دع الهوى لأناس يُعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبهُ
بلوتَ نفسك فيما لست تخبره والشيء صعبٌ على من لا يجرِّبه
فاقن اصطباراً وإن لم تستطع جلداً فربّ مدرك أمر عزّ مطلبه
أحنو الضلوع على قلب يحيِّرني في كل يوم ويضنيني تغلبهُ
تناوح الريح من نجدٍ يهيِّجُه ولامع البرق من نعمان يطربُهُ

قال ابن الجوزي: قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرةٌ كلما هبّ النسيم التهبتْ. ومن صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، قُوَّام الليل قطعت نياق جدِّهم بادية الليل ولم تجد مس التعب فالطريق إلى المحبوب يطول.

بـدا لهـا مـن بعـد مـا بـدا لهـا روض الحمى أن تشتكي كلالها
أذكـرهـا مـرُّ النسيـم سحـراً مـراتعـاً تفيـأتْ ظـلالهـا
تحسبهـا سكـرى ومـا ذاك بهـا وإنمـا شـوق الحمـى أمـالهـا

قال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلاَّ طلوع الفجر.

أخي المسافر، قد سمعت أخبار المسافرين المتقين مع الليل فسرْ في سربهم، وتناول من شربهم، لقد أطار خوفُ النار نومهم، وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم، يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام الأحزان.

مكتئبٌ ذو كبدٍ حرّىٰ تبكي عليه مقلةٌ عبرىٰ
يرفع يمناه إلى ربِّه يشكووفوقالكبداليسرىٰ
يبقى إذا حدثته باهتاً ونفسه مما به سكرىٰ
تحسبه مستمعاً ناصتاً وقلبه في أمّةٍ أخرى

أخي المسافر لا يفتْكَ حظك من الليل، ولا تغفل عن عطاء العلي الجليل، فإن أمامك يوماً ثقيلاً، وخطباً جليلاً، واعلم أن ناشئة الليل هي أشدُّ وطئاً وأقوم قيلاً، فاذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً.

يـاأيهـا الـراقـد كـم تـرقـدُ قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخذ من الليل وساعاته حظاً إذا ما هجع الراقدُ
من نام حتى ينقضي ليلُهُ لم يبلغ المنزل أو يجهدُ
قل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة الأرض لكم موعدُ

أيها الراقد

وقال الشيخ عبدالعزيز بن حمد ـ رحمه الله ـ في الحض على قيام الليل:

أيُّها الراقدُ ذا الليلَ التَّمَامْ قُمْ بجِدٍّ فالليالي في انصرَامْ
وتقــرَّبْ بصــلاةٍ وصيــامْ وابتهلْ لله في جُنْحِ الظَّلامْ
فعسى تلحق بالقوم الكرامْ

أيُّها الراقد ذا الليل الطويل ليس في الدنيا مقامٌ يا نبيلْ
ضُرِبَتْ والله أبواقُ الرَّحيلِ وسَرَى الرَّكْبُ بِوَخْدٍ وذَميلْ
يتبارون إلى دار السلام

أيُّها الراقد كم هذا الهجود ماترى القوم استعدوا للوُفُودْ
بقيــامٍ ورُكــوعٍ وسجــود وخشوعٍ وخضوعٍ للودودْ
ودموعٍ تتجارى كالغمام

منهم من ملَّك الشوقَ الزِّمَامَا وفَنِيْ في الله حُبًّا وغَرَامَا
وبشرطِ الوصلِ يستحْلِي الحِمَامَا كُلَّما ذاق من التقريبِ جَامَا
زاد شوقاً ولفرط السُّكْر هامْ

أيُّها الراقدُ كم هذا الكرَى إن أهل الله جدُّوا في السُّرَى
طلَّقُوا الدُّنيا ومرُّوا زُمَرَا أفترْضَى أنْتَ أن تَبْقَى ورَا
فاستعن بالله وانهض باهتمامْ

أيُّها الرَّاقدُ كم هذا الرُّقادْ قمْ بإخلاصٍ وجدٍّ واجتهادْ
وتزوَّدْ فالتَّقَى أفضلُ زادْ إنَّ أهل الجدِّ فازُوا بالمرادْ
من يطع مولاه يظفر بالمرامْ

كيف يَهْنَى بمنامٍ وسُبَاتْ عالمٌ أن سوفَ يَلْقَىٰ السَّكَراتْ
ويذُوقُ المُرَّ من كاسِ المَمَاتْ رَبِّ وفِّقْنَا وأيِّدْ بالثَّباتْ
عندما نجْرَعُ كاسَاتِ الحِمَامْ
إنما الدُّنيا متَاعٌ وغُرُورْ كلُّنا فيها على وَشْكِ العُبُورْ
لا تَغُرَّنَّكَ هاتِيكَ القُصُورْ كلُّ من فيها سَيَمْضي للقبور
مُلصِقاً بالرَّغمِ خَدًّا لِلرَّغَامْ
آه من ذكر البلَى ما أوْجَعَهْ آهِ من دَاعِ النَّوَى ما أسْمَعَه
آه من هولِ اللِّقَا ما أفظَعَهْ آهِ مِنْ كاسِ الرَّدى ما أبْشَعَه
ربِّ ثَبِّتْنَا لدى ذاك المَقامْ

في الليل

للشاعر أمين عزت

اسكتي يا طيور! لا تملئي الليل ... غـــناء بصـــوتـــك الخـــلابِ
وقفي يا غصون لا تتناغي ... بحديث الهوى وهمس العتابِ
طاب لي مجلسي بعيداً عن السمـ ... ـــار، في نجوة من الأصحاب
فتنتني سكينـة الليـل، والليـ ... ـــل سكـون يطيـر بـالألبـاب
واحتواني الظلام حتى كأني ... قطعـة منـه فـي سـواد إهـاب
وكأن السماء صحراء خرسا ... ء بدا نجمها كومض السراب
وكـأن الليـل البهيـم عبـاب ... وأنـا سـابـح بهـذا العبـاب

بين شطين من ظلام قد امتد امتداد العصور والأحقاب

نام زهر الرياض في سرر العشـ ... ـب ونامت على السفوح الروابي
وسرت روح شاعر يعشق الحسـ ... ـن فرفت في الليل بين السحاب
إنما الليل للذي يعرف الليـ ... ـل وما فيه من معانٍ عذاب
قدّس الليل، إنه هيكل السحـ ... ـــر ووحي الهوى وستر الشباب

عابد ليل

يقول ابن الرومي واصفاً عبّاد الليل ورهبانه:

بات يدعو الواحد الصمدا ... في ظلام الليل منفردا
خادم لم تُبْقِ خدمتُه ... منه لا رُوحاً ولا جَسدا
قد جفتْ عيناه غمْضَهما ... والخليُّ القلب قد رقدا
في حشاه من مخافته ... حُـرُقـاتٌ تلْـذع الكبـدا
لو تراه وهو منتصبٌ ... مُشْعِـرٌ أجفـانَـه السُّهُـدا
كلمـا مَـرَّ الـوعيـدُ بـه ... سح دمعُ العين فاطَّردا
ووهت أركانه جزعَاً ... وارتقت أنفاسه صُعُدا
قائلٌ: يا منتهى أملي ... نجِّني مما أخاف غدا
أنـا عبـدٌ غـرنـي أملـي ... وكأنَّ الموتَ قد وردَا
وخطيئاتي التي سلفتْ ... لستُ أحصي بعضَها عددا
فلِيَ الويل الطويل غداً ... ليت عمري قبلها نَفِدا
ويح عيني ساء ما نظرتْ ... ويحِ قلبي ساء ما اعتقدا
ليت عيني قبل نظرتها ... كُحِلَـتْ أجفـانُهـا رمـدا
فـإذا مـرَّ الـوعيـد بـه ... كاد يُفني روحه كمدا
وإذا مـرَّ الـوُعـود بـه ... شدَّ منه القلب والعضدا

وبهذا القدر أخي المسافر نكتفي وإلى اللقاء مع آية من آيات الله في هذا الكون العجيب.